اليمن...ضبط علاقة السهل والجبل

17 - ديسمبر - 2025

ينظر كثير من الدارسين للتاريخ السياسي والاقتصادي والاجتماعي اليمني على أنه تاريخ العلاقة بين الجبل والسهل، أو تاريخ التواصل بين مكونات الجغرافيا، في بلاد أدى تعقيد خريطتها الجغرافية إلى تعقيد خرائطها السياسية والاقتصادية والاجتماعية، بحكم بروز الجيوبوليتيكيا عاملاً مؤثراً قوياً في مراحل التاريخ اليمني القديم والحديث.

في الماضي القديم كانت السهول اليمنية من سواحل ومناطق جنوبية وشرقية هي مراكز السلطة والسيطرة، حيث قامت دول قوية مثل معين وسبأ وحضرموت وقتبان، وكلها دول كانت عواصمها في المناطق السهلية الممتدة باتجاه السواحل الجنوبية والشرقية، مع أنها دول توسعت لتشمل أقاليم واسعة في اليمن والجزيرة العربية في العصور القديمة، وكانت تلك الدول قائمة على فكرة جوهرية هي فكرة «التحالفات القبلية» القائمة أساساً على المصالح المشتركة بين قبائل البلاد المختلفة التي وردت تسميتها في النقوش القديمة باسم «شعوب»، وهي فكرة «اتحادية» بامتياز.

ومع تدفق القرون طرأت عدة عوامل سياسية واقتصادية أدت إلى

اضمحلال الدولة السهلية اليمنية، مثل فقدان السيطرة على طرق التجارة البحرية، والغزوات الداخلية والخارجية التي أدت إلى ضعف الدولة الأشهر، وهي دولة سبأ، الأمر الذي أدى إلى قيام حركات تمرد داخل إطار «شعب سبأ»، هذه التمرد الذي خرج منه جزء من السبئيين – وهم الحميريون – منتصرين، وقد اختار الحميريون مدينة «ظفار» في الجبل لتكون مركزاً لدولتهم الجديدة، بعيداً عن الاستهداف، ثم توسعوا عسكرياً، ليضموا الجغرافيا اليمنية كلها، مع أجزاء من الجزيرة العربية.

بعد الإسلام كان اليمن جزءًا من دولة الخلافة الراشدة، ثم الدولة الأموية، ثم العباسية، إلى أن استقل الزياديون بحكم اليمن، مع بداية القرن التاسع الميلادي، وأسسوا عاصمتم زبيد في السهول التهامية غرباً، قبل أن يسيطروا على معظم السهل والجبل، ثم شهد اليمن – لاحقاً – حكم «الدولة الرسولية» التي حكمت معظم الجغرافيا اليمنية من عاصمتها «تعز»، في السهول الغربية للبلاد، حوالي منتصف القرن الثالث عشر الميلادي، مع بقاء الولاية الاسمية للخليفة العباسي في بغداد، طول فترة هاتين الدولتين.

وكان من ضمن الدويلات المستقلة في اليمن الدولة الزيدية الأولى التي أسّسها الهادي الرسي مع نهاية القرن التاسع الميلادي، بعد حركة تمرد ضد الدولة الزيادية، حيث استقلّ بصعدة، في الجبال الشمالية للبلاد، ثم نشأت دويلات أخرى إلى أن جاء الأيوبيون وقضوا على تلك الدويلات، ووحّدوا اليمن ما باقي أقاليمهم في دولة واحدة، قبل أن يجليهم الرسوليون من بني غسان عن اليمن، ويعيدوا توحيد اليمن مع أجزاء من الجزيرة تحت سيطرتهم منطلقين من عاصمتهم تعز في السهول الجنوبية الغربية، حيث كانت تلك الدولة أقوى الدول اليمنية المستقلة عن العباسيين، وأكثرها تطوراً في مختلف المجالات، قبل أن تسقط على يد الطاهريين الين استقلّوا عنها، وسيطروا على تعز وعدن، ليمدوا حكمهم إلى صنعاء في وسط الهضبة اليمنية، فيما بعد، قبل أن يسقطهم المماليك الذين تعاون معهم في إسقاط الطاهريين أحدُ أئمة

الزيدية، قبل أن يسقط حكم المماليك في مصر على يد العثمانيين، ثم يدخل اليمن فيما بعد تحت السيطرة العثمانية.

> الحل الأمثل في الحالة اليمنية يتضمن إعادة توزيع مركز الثقل بشكل متوازن بين الجبل والسهل، وهنا يمكن لجنوب البلاد أن يقود الدولة إذا وسّعت النخب السياسية أفقها

ما الذي نستخلصه من هذا السرد شديد الإيجاز؟

نستخلص أن كل حركة انفصال إنما تأتي بهدف الوصول للسلطة والثروة، وأن كل حركة انفصال تتحول بعد الوصول للسلطة إلى حركة توحيد، لأن الهدف من دعوات الانفصال والتوحيد هو السلطة، ونستخلص أن كل دولة حكمت اليمن قبل الإسلام وبعده كانت تسعى لبسط سيطرتها على كامل الجغرافيا اليمنية، ونستخلص أن الحدود الشطرية التي كانت في اليمن قبل عام 1990 إنما كانت حدوداً رسمها تقاسم السيطرة بين دولة العثمانيين والإنكليز والزيديين، وبالتالي فهي حدود مؤقتة كغيرها من الحدود الجغرافية التي كانت ترسمها القوة العسكرية، ونستخلص أن فترات الاستقرار في اليمن كانت تلك التي تغدو فيها العلاقة بين الجبل والسهل علاقة تكاملية، وأنه عندما تختل تلك العلاقة يدخل اليمن في الصراعات والحروب الأهلية.

واليوم، ونحن نشهد سيطرة المجلس الانتقالي الجنوبي في اليمن على معظم المحافظات الجنوبية والشرقية للبلاد، لا يمكن أن نفهم هذه السيطرة بعيداً عن منطق التاريخ السياسي والعسكري للبلاد، وهو التاريخ الذي يقوم على منطق التمرد والاستقلال عن الدولة، من أجل العودة للسيطرة عليها مرة أخرى، وهو ما كان بارزاً في حروب شطري البلاد قبل تحقيق الوحدة، وهي حروب كانت تُخاض «من أجل تحقيق الوحدة اليمنية».

ومع استعراض هذا التاريخ يمكن الخلوص إلى أن تقسيم اليمن لن يكون

على أية حال وصفة استقرار. التاريخ يقول ذلك، والجغرافيا تؤكده، وقد رأينا كيف تشن حركات الانفصال هجمات متعددة للسيطرة على السلطة، ثم تتوسع لتوحيد البلاد كلها. وبما أن التاريخ يتدفق والوسائل تتغير فإن فصل أي جزء من اليمن بالقوة لن يكون هو الحل، وإن تقسيم اليمن لن يكون خطراً على اليمنيين وحدهم، بل على الإقليم والدول المجاورة بشكل أساس. هذه هي الحقيقة، رغم أنها اليوم مغطاة بفعل غبار الصراع الذي تفجّر بعد سيطرة الحوثيين على العاصمة صنعاء، إذ أنّ سيطرة طرف على مركز الدولة يعني تشجيع بقية الأطراف على الانفصال عنها.

والحقيقة الأخرى هي أن أي شكل من أشكال وحدة السيطرة والتسلط واختلال موازين القوة لم يعد ممكناً في البلاد التي حكمها السبئيون قبل آلاف السنين بالتوافق بين مكوناتها المختلفة، والتي حكمتها كذلك الدول المختلفة عبر سلاسل من التحالفات القائمة على أساس من التوافق والتوازن بين أجزاء الخريطة، وهو المبدأ الذي ما إن يختل حتى تتفجر الحرب من جديد.

واليوم، ينيغي لأولئك الذين يريدون تقسيم اليمن بالقوة، ويطالبون بـ»حق تقرير المصير للجنوب» عليهم أن يقفوا أمام مسؤولياتهم التاريخية بعدم استعمال القوة في تقسيم البلاد. وعليهم أن يعرفوا أن القول بمطلب «تقرير المصير» لا يمكن حصره في منطقة معينة، إذا تم الأخذ به، وهو ما يفتح الباب أمام انقسامات لا حصر لها.

إن إعادة قراءة التاريخ اليمني قديماً وحديثاً هو الكفيل باستخلاص ليس العِبر وحسب، ولكنه يمكن أن يرسم الطريق نحو الحلول، إذ أن الحل الأمثل في الحالة اليمنية يتضمن إعادة توزيع مركز الثقل بشكل متوازن بين الجبل والسهل، وهنا يمكن لجنوب البلاد أن يقود الدولة إذا وسّعت النخب السياسية أفقها، لتجعل الجنوب مركز الثقل اليمني، بعد سيطرة الحوثيين على صنعاء، الأمر الذي يمكن أن يبقي اليمن موحداً، مع تصحيح الأوضاع، وتصحيح معادلة القوة بين سهول اليمن وجبالها،

بشكل يعيد الاعتبار للسهول، ويهيئ الفرصة للجبال للاستفادة من استقرار تلك السهول، مع تحول جنوب البلاد إلى مركز قوة، بما يهيئ لتكافؤ المناطق المختلفة، ويجعل الجنوب في موقع مَنْ يعيد صياغة معادلة الوحدة، ويسهم بشكل فعال في إعادة تشكيل الدولة اليمنية، على أساس من توزيع عادل للسلطة والثروة، يتجاوز فكرة المظلومية، ويعيد ضبط العلاقة بين السهل والجبل، بشكل تكاملي.

كاتب يمني

كلمات مفتاحية

الجنوب | المجلس الانتقالي الجنوبي | اليمن | تعز | صنعاء | عدن | محمد جميح

اترك تعليقاً

لن يتم نشر عنوان بريدك الإلكتروني. الحقول الإلزامية مشار إليها بـ *

التعليق *

الاسم *

البريد الإلكتروني *

إرسال التعليق

الدكتور جمال البدري ديسمبر 17, 2025 الساعة 10:53 م

قرأت مقالك ثمّ ناظرت مقال الأستاذ الفاضل حسام الدّين محمد.فكلاكما مكمّل لبعض.ففيك رحلة الشتاء إلى اليمن؛ وفيه رحلة الصيف إلى بلاد الشام.ولمست ولا أقول أحسست؛ مدى الشوق المغروس فيكما إلى بلديكما...لذلك أبعث بهذه الأبيات ربّما فيها تعبير عامّ مني عن مضمون الكلام:{ تركت بلادي والدموع سواكب.....وخلّي على الهجران دومًا يعاتب }.{ تسآلني؛ والسؤل شيّب لمتي.....جنيت فعالًا ما لها اليوم صاحب }.{ تركت بلادًا قد نشقت طيبها.....وما صابكم فيها؛ صاحبيّ تغابب }.حفظ الله بلادنا العربيّة والإسلاميّة من كلّ مكروه وتباب.رغم أنف أبي لهب ومسيلمة الكذّاب.

رد

السوري الآخر ديسمبر 18, 2025 الساعة 12:19 م

في واقع الحال ليس هناك صلة تذكر بين هكذا تعليق وبين مقال السيد حسام الدين محمد، ذلك لأن الزعماء من جيل ما بعد الاستعمار، لم يظهروا من فراغ، بل كانوا نتاجا لظروف إقليمية ودولية شديدة الاضطراب (دول حديثة العهد بالاستقلال، مجتمعات منقسمة، جيوش مسيّسة، وصراع دائم بين القوى الكبرى). في تلك الفترة، بدا الحكم السلطوي للكثيرين وكأنه الخيار العملي الوحيد القادر على فرض النظام وتوحيد القرار، لا لأنه الأفضل، بل لأنه الأسرع والأكثر حسما. غير أن هذا المنطق حوّل الدولة إلى امتداد للحاكم، وربط الاستقرار بشخص واحد لا بمؤسسات، ما جعل أي انتقال لاحق محفوفا بالمخاطر. لكن المشكلة أن هذا "الاستقرار القسري" راكم تحت سطحه أزمات كبرى، انفجرت لاحقًا بأثمان أعلى بكثير، ما يطرح سؤالا مؤلما: هل كان الشر أقل في لحظته، أم أنه أُجِّل فقط حتى صار أشد تدميرا؟ فشتان بين مضموني المقالين هنا. تحية للسيد محمد جميح

عبد الرحمن بن فيصل ديسمبر 18, 2025 الساعة 5:13 ص

رؤية الكاتب للأحداث في اليمن تنطلق من رؤيته السياسية التي يعتقد هو بصحتها في حين هناك سردية أخرى تتعلق بغياب التنمية وعدم الاستقرار والفوضى السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفساد وكلها نتائج دولة الوحدة التي يريد كاتب المقال أن نتمسك بها حتى لو كانت فاشلة وغير صحية ولم توحد الجغرافيا اليمنية كما ينبغي، كنا نحتاج إلى تأهيل سياسي واقتصادي و اجتماعي مناسب للدولتين قبل دمجهما في كيان واحد حتى نضمن إستمرار دولة الوحدة الوليدة، وهذا لم يتحقق، النتيجة كانت هذه الدولة الضعيفة الهشة المنقسمة على نفسها، لذا من الواجب التفكير الآن في إعادة بناءها على أسس قوية،،، ،ولكن لكي نفهم كيف تسير الأمور علينا التشريح والتفكيك،،،، فك ارتباط الجنوب هو الذي سيجعل كل من الدولتين على المسار الصحيح، قبل التفكير في إعادة توحيدهما مجددآ في المستقبل.

رد

ابو عبدالله ديسمبر 18, 2025 الساعة 7:16 ص

استاذ محمد قرات المقال، وهذا تعليقي؛ ان مطالبة الجزء الجنوبي للانفصال تداخل به أكثر من عامل واهمها، اولا. ان معاناة اهل الجنوب في اليمن لم تكن وليد اللحظة (سيطرة الحوثيين) واضطراب أحوال اليمن الحالية ، ولم تكن نتاج "للربيع العربي". بل هي نتاج أخطاء إدارية وسلطات تعسفية منذ مرحلة توحيد اليمن (وربما قبلها) وانفراد علي عبدالله صالح واقاربة بالسطة والدولة. حيث عانى الجنوب من تهميش متعمد وغير لازم (لم تكن اليمن ولا السلطة تحتاجه). شعر الجنوبين به والم بهم والمهم.. ومع ذلك التزموا الوحدة ومافرضه الواقع. ثانيا. الدول المحيطة باليمن، قرات أحوال اليمن ، فحاولت احتلال اليمن اقتصاديا ، بشراء او تأجير الموانيء، على عبدالله صالح ، قرأ الموضوع صح، فحاول تغيير اللعبة بالتقديم رسميا للانظمام لدول التعاون الخليجي، التي رفضت اليمن العربي بالانظمام؟ . ثالثا. نفس الدول اعلاه، اندفعت بالمال والسلاح والجيش نحو اليمن لمحاولة السيطرة على اليمن لضمان (هذه المرة) الحصول على كل شي تريده (ببلاش). استعملت تلك الدول ، الطريقة الإنكليزية؛ فرق تسد، والطريقة الأمريكية ؛ ادفع تشتري وتسد، والطريقه الإيرانية ؛ اقتل ترهب وتسد. فكان حال اليمن هو الذي تراه اليوم.

رد

ابو عبدالله ديسمبر 18, 2025 الساعة 7:18 ص

اذن ياستاذ محمد، لم يعد القرار، لليمن ولا أهل اليمن لافي الداخل ولا في الخارج. هذا يعني ان اليمن الحالي مقسم إلى ثلاث دول (وان لم تكن ظاهرة للعيان اليوم) ؛ دولة في الشمال الغربي وعاصمتها صعدة وزعيمها السيد الخامنئي(ووكيله عبدالملك الحوثي) . ودولة في الشمال الغربي تضم تعز وصنعاء والمدن المحيطة و عاصمتها صنعاء،وهذه لم يحدد بعد زعيم لها رغم ان الحوثي موجود،. الا ان السياسة الدولية ستفرض رئيس اخر (برضا الحوثي او عدمه ليعود الحوثي الي حضن وكيل الامام المهدي في صعدة) . ودولة أخرى في الجنوب والجنوب الشرقي، تدار من دولة عربية. المواطن اليمني لا يهمه اليوم شيء سوى ان يشبع ابناءه، لان اذا جاع الإنسان ، لن تجدي الشعارات الثورية نفعا. ولذلك تفرض الدول العظمى الحروب في العالم الثالث، لتجوع الشعوب، وتنهار الرجال، وتباع المباديء، فيسير الناس(رغما عنهم اي والله يا استاذ محمد رغما عنهم كما لو انهم منومون مغناطيسيا) يسيرون كما قطيع الغنم ؛ يسيرون خلف حمار وكبش ضخم وصوت جرص معلق في رقبته. انا لله وانا اليه راجعون ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

رد

ناجي ديسمبر 18, 2025 الساعة 8:33 ص

تاريخياً، كان اليمن موحداً منذ السبئيين، فقط الاستعمار البريطاني ودولة الأئمة الزيديين قسمت اليمن، وعندما رحل المستعمر ونظام الأئمة عاد اليمن موخداً بعد

أقل من ثلاثة عقود، وتمت الوحدة بشكل سلمي.

رد

مهند ديسمبر 18, 2025 الساعة 8:49 ص

اليمن دولة واحدة في الحاضر والتاريخ، ودعاة الانفصال تدعمهم سلطة ابو ظبي التي خانت فلسطين وتسعى لتفريق المسلمين وتقتل الليبيين والسودانيين والفلسطينيين مع إسرائيل.

رد

بلعيد الصيهاجي /الجزائر ديسمبر 18, 2025 الساعة 11:50 ص

أحدهم يذكر "رحلة الشتاء والصيف" هكذا اعتباطا دون التطرق إلى الخطب الأهم هنا ألا وهو مواءمة الطقس للسفر في كل من الفصلين. فقد جاء في سورة قريش، حيث امتنّ الله على هذه القبيلة بتيسير هتين الرحلتين للتجارة: رحلة إلى اليمن في فصل الشتاء لطقسها الدافئ، ورحلة إلى الشام في فصل الصيف لطقسها المعتدل، مما أمن لهم الرزق وأمنهم في أسفارهم بفضل المكانة الخاصة للبيت الحرام بالذات، كما في الآيات: {لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ * إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ * فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ}. فمن الأحاديث المعزوة إلى الرسول الكريم ذلك القول الشهير، "إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه"، وما إلى ذلك!.
تحياتنا للسيد محمد جميح

رد

الطيب صياد - ديسمبر 19, 2025 الساعة 5:10 ص

نقدّر عاليا أيضا هذه التوصيات البليغة بمواءمة الطقس للسفر.. فمنهم من يتمنطق بمنطق التورية بشيء من عقيرته دون أن يدرك حقا أنه إذا بلغ بها إحقاقَ الباطلِ أو إبطالَ الحقِّ أو نحو ذلك، صارت بالحقيقِ فِرْيَةً وافتراءً بمعنى الإخبار بالشيء على خلاف حقيقته في واقع الشأن.. تحياتنا لك وللأخ محمد جميح على الإثراء.

علي ديسمبر 18, 2025 الساعة 2:13 م

ما يمر به اليمن مؤسف وهو يهم كل العرب لأن اليمن واحد من أقدم بلدان العالم وهو بداية العرب الذين خرجوا منه.

رد

الدكتور جمال البدري ديسمبر 18, 2025 الساعة 4:19 م

بلعيد المرزوقيّ: هل قرأت تعليقيّ ولقطت منه التورية بشأن رحلة الشتاء إلى اليمن؛ لأنّ السّيد جميح من اليمن؛ ورحلة الصيف إلى بلاد الشام؛ لأنّ نظيره السّيد حسام من هنالك؟ ولله في خلقه شؤون بين نجاة ومهالك.

رد

اشترك في قائمتنا البريدية

أدخل البريد الالكتروني *

اشترك

حولنا / About us
أعلن معنا / Advertise with us
أرشيف النسخة المطبوعة

أرشيف PDF

النسخة المطبوعة

سياسة

صحافة

مقالات

تحقيقات

ثقافة

منوعات

لايف ستايل

اقتصاد

رياضة

وسائط

الأسبوعي

جميع الحقوق محفوظة © 2025 صحيفة القدس العربي

adberries